١٠

ظاهرة الربط بين النصوص الشرعية والأمراض المستجدة (فايروس كورونا نموذجاً)

The phenomenon of connecting between Islamic legal contexts and recent ailments (corona virus as an example)

أحمد عقيل

قسم التفسير في جامعة وان يوزنجويل

- طالب دكتوراه -

Ahmet AKIL

- Doctorate scholar - Department of Tafsir -

Van Yuzuncuyil University

ahmad.akil1@live.com

الملخص

خيّم فايروس كورونا بظلاله على أطراف المعمورة فأعقب آثاراً سلبيّة على واقعنا الطبّي والاجتماعي والدراسي، وهُرع رجال الطبِّ والسياسة والعلم مسرعين إلى تولّي مسؤوليّاتهم وتقديم حلولٍ لنجدة الناس وحمايتهم من هذا المرض الفتّاك، وشرع باحثون في موضوع التفسير والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وبعض مروجي الشائعات إلى ربط نصوصهما بالواقع الجديد الذي فرضه الفايروس المتحوّر، وحاولوا استخراج معانٍ عجيبة لملائمة الوضع الحالي. وكانت غايتهم رغم اختلاف مناهجهم وتناقض تفسيراتهم الاستنباطَ من آيات القرآن الكريم والحديث الشريف وإسقاطَها على الواقع المُعاش؛ ممّا أدّى إلى ظهور موجة إعلاميّة مضادّة جعلت الإعجاز العلمي والقائلين به مادة للنقد والسخرية. فكان ربط فايروس كورونا بالإعجاز العلمي ظاهرة تستحقّ الرصد والتحليل وبيان الصحيح من السقيم. وهدف هذا البحث تسليط الضوء على تلك الظاهرة المنتشرة في وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة وعرض بعض صورها وتحليلها. وتكمن أهميّته في محاولته رصد السقيم من التفسيرات الجديدة المبالِغة في ربط مصطلحَي الإعجاز العلمي وفايروس كورونا، وفي تتبع الشائعات المروّجة لوجود إشارة له في القرآن والسنة.

يتألّف هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة: في المبحث الأول تحدّثتُ فيه عن التفسير والإعجاز العلميَين ومفهومها المعاصر وضوابطهما والفرق بينهما. وفي المبحث الثاني عرضتُ فيه أمثلة مختلفة عن ظاهرة التسرّع في ربط النصوص بالواقع وشواهد عليها ونقدها وفق الرؤية الصحيحة للتفسير العلمي والإعجاز العلمي، وفي الخاتمة ذكرتُ أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: التفسير – التفسير العلمي– الإعجاز العلمي – ربط النصوص بالواقع – فايروس كورونا.

Abstract

The wide spread of corona virus around the planet has resulted negative effects on our medical social and education situations Many physicians and politicians hurried to take their responsibilities and offer solutions to save peoples lives and protect them from the lethal disease.

Some researchers in the field of tafsir and scientific miracle in the holy “Koran” and “Sunna” other rumor mongers and other specialists have connected between their own concepts of some verses “Aya of Koran” and the new situation

Which was made by new corona Virus as those researchers have done their best to obtain wondering meanings to suit the new situation This has created a reversal media its own aim is to criticize and moque scientific miracles in “Koran” in relation with ailments and those who support these viewpoints despite of their different approaches and the contradiction of their interpretations, their aim was to exogiate from Koran Ayat (verses) and Hadith sharif and projecting all these on our lives. Therefore, the Connection between corona virus and the scientific miracle of Koran has created a phenomen which deserves dedication, analayzation and stating the regular and the inregular.

The objective of this research is to highlight upon this phenomenon which is widely spread on media and social communication; selecting some samples in order to analyse them.

The importance of this search is trying to notifying he irregular/ misunderstand new explanation of connecting the term “scientific miracle” and virus corona. Also following the rumors which insists on the presence of miracles in Koran and Sunna.

This search consists of an introduction, two chapter and conclusion. In the first chapters, I have stated the definition and recent concept of “Tafsir” and scientific miracle in Koran and their controllers and the difference between them. In The second chapter, I showed some examples of the phenomenon of connecting Koran text with daily life, stating some quotations, criticizing them according to the correct view of scientific interpretation “Tafsir” and scientific miracle. As for the conclusion I mentioned the main results which the research has arrived to.

Key words: Tafsir -Scientific tafsir -Miracle -connecting texts with daily life -corona virus.

توطئة

الحمد لله الكريم الوهاب، جاعل الليل والنهار آيات لأولي الألباب، وقدّر كل شيء تقديراً، وعلّم الإنسان عدد السنين والحساب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد من آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، وأنزل إليه كتابه فأعجز الخلائق بآياته الباهرة، وأودع فيها معجزات باطنة وظاهرة، وهدى أهل العلم لاستخراج فوائدها الزاهرة، أما بعد:

فمن المعلوم أنّ القرآن الكريم عظيم المنزلة في حياة المسلمين كافة، ومكانته العظيمة تتجلّى في نواح عدّةٍ منها إعجازه للإنس والجن بأن يأتوا بسورة واحدة محكمة، وأنه الدستور الرباني والنص الإلهي المحتوي على حقائق تشريعية وعلمية وإعجازية في ثنايا آياته الجليلة والصادقة، وأنه صالح لكل زمان ومكان، وكذلك فإن السنّة النبوية معجزة في تشريعاتها وأحكامها وأخبارها.

واليوم نشهد في كلّ أرجاء الأرض حدوث كوارث بيئية وتفشّياً كبيراً للأوبئة، ومحاولة كثير من الباحثين ربط ما يحدث من كوارث بآيات قرآنية وأحاديث شريفة محددة، لكنَّ آيات القرآن الكريم ونصوص الأحاديث الشريفة لا تتناول جميع حالاتنا الجزئية المتبدّلة، ولا يُطلب من الفرقان المعجز أن يتحول إلى كتاب طبّي جيولوجي، ولا يجوز لنا أن نربط كل فتنة أو واقعة محدودة بنصّ مفتوح الآفاق فنسقطها إسقاطاً ينافي أصول التفسير وقواعده. فالمسلم الفطِن كما هو مَدعوٌّ إلى التفكّر في آيات الله القرآنية والكونية والربط بينها مدعوٌّ أيضاً إلى التثبُّت والتروّي في إسقاط النصوص على الواقع المعاصر والتأكّد من الحقائق العلمية قبل أن يُفسّر بها الآيات.

وبعد مرور نحو عامين من ظهور فايروس كورونا الذي سبّب وفاة ما يقارب ٥ ملايين إنسان حتى كتابة هذا البحث، وتطبيق الحجر الصحي دولياً ومحلياً ظهر أمامنا مأزق فكري ميداني آخر، ووقع من الكثير تسرّعٌ في إنزال معاني الآيات والأحاديث على الواقع الذي فرضه هذا الفايروس المتحوّر تحت مبالغات وشائعات مختلفة نسبوها إلى مباحث التفسير والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وكانت غايتهم رغم اختلاف مناهجهم وتناقض تأويلاتهم الاستنباطَ من النصوص الشرعية الكريمة وإسقاطَها على الواقع.

وبما أن تلك التأويلات تعدّ مادّة للدراسة فإنه من الواجب على المدرّسين والدارسين لا سيّما في قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم رصدَها ومناقشتَها ضمن نطاق تخصصاتهم لقطع الطريق أمام من يتلاعب بمعاني الآيات فينزلها في وقائع طبية خاصة. ولمّا كان عنوان هذا المؤتمر الدراسات الإنسانية والمتغيرات الحياتية في ضوء الشريعة الإسلامية وجدتُ فيه الفرصة المناسبة لكي أرصد تلك الواقعة وأدرسها.

١. المبحث الأول معنى التفسير والإعجاز العلميَين وتعريفهما وضوابطهما والفرق بينهما

تستند فكرة الربط بين النصوص الشرعية والوقائع الطبية والكونية إلى مبحثَي التفسير والإعجاز العلمي للقرآن الكريم. ولمّا كانت هذه الفكرة متعلّقة بهذين المبحثين، فإنه يحسن قبل الدخول إلى صلب الموضوع الإشارةُ بإيجاز إلى بعض التصورات الضرورية والتعريفات الأساسية لفهم هذه الفكرة. فالتفسير العلمي للقرآن يستند إلى مبدأ أن القرآن الكريم يضم علوم الأولين والآخرين وأنه كتاب الله عزّ وجلّ فيه تبيان لكل شيء وأنه لا تنقضي عجائبه. فإذا كان عصرنا هو عصر الكشوفات والمخترعات العلمية فإن القرآن الكريم يمكن فهم آياته الصالحة لكل زمان ومكان بأدوات هذا العصر الحديث وعلومه الكونية المختلفة وتفسير آياته بطريقة تتناسب مع تلك الاكتشافات.

١. ١. المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي

١. ١. ١. أولاً: تعريف التفسير والعلم

التفسير لغة: مِنَ الفسرِ أي الكشفِ والبيانِ[١] والشرحِ[٢]. أمّا اصطلاحاً فله تعاريف عدّة نختار منها: «هو العلمُ الذي يبحثُ عن أحوالِ القرآنِ الكريمِ، من حيث دلالته على مرادِ اللهِ تعالى، بقدرِ الطاقةِ البشريةِ»[٣]. وهذا التعريف أنسب من غيره؛ لأنه يمكن أن يدل على علاقة التفسير الواسعة بسائر العلوم؛ لأنّ قيد «الطاقةِ البشريةِ» يُدخل اتجاه التفسير بالعلوم الحديثة والكونية.

والعلم لغة: هو نقيضُ الجهلِ وهو أصلٌ يتضمنُّ معانيَ منها المعرفة والشعور[٤]. واصطلاحاً: إدراكُ الشيءِ على ما هو بهِ[٥]. أو مرتبةٌ عاليةٌ من الإدراكِ ضدُّ الجهلِ أو الوهمِ تصوراً كانت أو تصديقاً[٦].

ويطلق مجازاً على مجموعِ مسائلَ وأصولٍ كليةٍ تجمعُها جهةٌ واحدةٌ في مجالٍ فكريّ أو تخصّصِي معيّن كعلمِ الأصولِ أو الطبّ أو غيرِ ذلك[٧]. وهذا الإطلاق

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت. ٥/٥٥/مادة (فسر).

(٢) ابن فارس الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.م، ط٢، ١٩٧٩م. ٤/٥٠٤/مادة:(فسر).

(٣) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد عيسى المعصراوي، دار السلام، ط٥، ٢٠٢١م. ٢/٣٨١.

(٤) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م. ص١١٤٠.

(٥) الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن الحسيني الشريف الحنفي، التعريفات، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م. ص١٥٧.

(٦) الجرجاني، التعريفات، ص١٥٧. التهانوي، محمد بن علي الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، تحقيق وترجمة مجموعة من الباحثين، ط١، ١٩٩٦م. ٢/١٢١٩/مادة (علم).

(٧) البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م. ص١٥١.

المجازي هو الأقرب لمفهوم العلوم (science) في اصطلاح المعرفة الغربية، وهو المقصود به في مصطلح التفسير العلمي، فالعلم يُقصد به: دراسةُ ومعرفةُ العلومِ الكونيةِ والمادية وسلوكِها كالهندسةِ والهيئةِ والجيولوجيا والنباتِ في العالمِ المحسُوسِ الخاضعِ للتجربةِ والمشاهدةِ[1].

١. ١. ٢. ثانياً: تعريف مصطلح التفسير العلمي

التفسير العلمي مصطلحٌ حديثٌ مركّبٌ من كلمتين، ورغم أنه قديم النشأة من حيث الأسلوب فهو لم يُعرّف إلا في القرنين الأخيرين. ونظراً لموقف العلماء المختلف منه فقد تعدّدت اصطلاحاتهم وتغيرت حدود تعريفاتهم ووصلت إلى نحو عشرين تعريفاً، فعرّفها بعضهم بحال هذا التفسير الراهن، وعرّفها آخرون بما يفترض أن يكون عليه. ومن أبرزها: **١**- تعريف الشيخ أمين الخولي والشيخ الذهبي: تحكيمُ الاصطلاحاتِ العلميةِ في آياتِ القرآنِ الكريمِ، والاجتهادُ في استنباطِ مختلفِ الآراءِ الفلسفيةِ والعلومِ الكونيةِ منها[2]. **٢**- وتعريف د. عدنان زرزور: هو الاستنادُ إلى نظرياتِ العلمِ التجريبيّ وحقائقهِ في شرحِ آياتِ الطبيعةِ والإنسانِ التي وردَتْ في القرآنِ الكريمِ في مواضع متعددة وسياقات شتى.[3] وهذه التعريفات السابقة أصحابُها من الاتجاه الرافض لهذا النوع من التفسير. **٣**-تعريف د. فهد الرومي: هو كشفُ الصلةِ بينَ النصوصِ القرآنيةِ وحقائقِ العلمِ التجريبيّ[4]. **٤**- تعريف د. المصلح: هو كشفُ عن معاني آياتِ القرآنِ في ضوءِ الراجحِ من نظريّات العلومِ الكونيّةِ[5]. وهذه التعريفات الأخيرة أصحابُها من الاتجاه المؤيد لهذا النوع من التفسير. وسنحلل هذه التعريفات قبل أن نذكر التعريف الذي توصلنا إليه.

١. ١. ٣. ثالثاً: تحليل التعريفات السابقة في ضوء العلاقة بين التفسير والعلم

١- حدود موضوع التفسير العلمي عند من عرّفوه غير منضبطة: مما يلاحظ على التعريفات السابقة أن معظمها لم يحصر التفسير العلمي بالآيات الكونية فقط بل أطلقه على جميع آيات القرآن الكريم ورأى أنه

(١) ماردیني، فاطمة، التفسير والمفسرون، بيت الحكمة، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م. ص١٣٠. خان، وحيد الدين، الدين في مواجهة العلم، ترجمة: ظفر الإسلام خان، دار النفائس، ط٤، ١٩٨٧، ص٦٣.
معجم أوكسفورد على الويب، تاريخ الوصول: ٣٠/ ٠٩/ ٢٠٢١ على الرابط الآتي:
https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/science?q=Science

(٢) الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، د.م، ط١، ١٩٦١م، ص٢٨٧؛ الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٢م، ٢/ ٤١٧.

(٣) زرزور، عدنان، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، دار القلم/دار الشامية، دمشق/بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ص ٢٣١.

(٤) الرومي، عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط٢٥، ٢٠٢٠م، ص٣٢٩.

(٥) المصلح، عبد الله عبد العزيز، ومجموعة من الباحثين، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (منهج التدريس الجامعي)، دار جياد، جدة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٣٠.

لا يختص بالآيات الكونية فقط بل يمكن أن يفسر به جميع القرآن. أما تعريف د. زرزور فيفهم منه أن هذا النوع من التفسير يتعلق بالآيات الكونية فقط.

٢ - درجة قطعية العلم الذي يُفسّر به متفاوتة عند من عرفوه: فهل حددت قطعية العلم المفسر به؟ وهل يُعتمد في تفسير القرآن على العلم التجريبي الظني أم القطعي أم المتراوح بينهما؟

تتفاوت التعريفات السابقة في الإجابة عن تلك الأسئلة ويمكننا إعادة ترتيبها بحسب تقديرها للقدر الجائز من قطعية العلم الكافية المستعمل في هذا التفسير من الأدنى إلى الأعلى: «الاصطلاحات العلمية» عند الخولي والذهبي. «النظريات والحقائق العملية» في تعريف زرزور. «الراجح من نظريات العلوم» في تعريف المصلح. «حقائق العلم التجريبي وقواعده» في تعريف الرومي. فدرجة العلم المفسَّر به متفاوتة ضمن التعريفات السابقة مع التأكيد أن استناد المفسّر لكتاب الله إلى نظريات لم يقطع العلم بصحّتها يوقعه في المحذور إذ اشتُرط عليه: «التحرِّي في التفسير مطابقة المُفَسَّر وأن يتحرّز في ذلك من نقصٍ عمّا يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض»[١] كي يتمكن من ترجيح المعاني الصحيحة وتمييزها عن غيرها.

٣- دور العلم وعلاقته بهذا النوع من التفسير:

ينقسم موقف العلماء من التفسير العلمي إلى فريقين كما هو معلوم، أولهما معارض له، والآخر مؤيد له، ولكل فريق أدلته. والذي يهمنا هو الوقوف على مدى ارتباط هذا النوع من التفسير بالعلم الحديث وعلاقته به بحسب رؤيتهم. فالعلم بمفهومه الحديث بحسب بعض الدراسات الأكاديمية والفلسفية يمكن افتراض أن له أربع علاقات مختلفة مع الدين: ١- التصادم. ٢- الاستقلال. ٣-التحاور. ٤-التكامل والاندماج[٢].

وما سبق من تعريفات للتفسير العلمي ولو كان بعض أصحابها يرفضون اتجاهه فإننا لا نجده يتّخذ شكل التصادم أو الصراع بين العلم والدين فيها. أي نجد أن تعريفاتهم تتموضع في إطار العلاقات الثلاث الأخيرة دون الأولى.

٤- تسمية هذا التفسير بالعلمي فيه تجوّز له وإنقاص لغيره: بعدما عرضنا تغيّر مدلول كلمة العلم بين العصور فإن إضافته إلى العلم دون غيره يوقع السامع بشبهة أن باقي أنواع التفسير غير علمية، فلو قيل التفسير بالعلم التجريبي أو الكوني فهو أولى[٣].

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق ونشر: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٦م. ٦/٢٣١٦.

(٢) Barbour, Ian, Issues in Science and Religion, Vantage, New York, 1966.

(٣) الشدي، عادل بن علي، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ٢٠١٠م. ص١٢.

١. ٢. المطلب الثاني: تعريف الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

يرجع جوهر فكرة الإعجاز العلمي إلى أن القرآن الكريم بما أنه صالح لكل زمان ومكان وبما أنه معجزة الله الخالدة المتحدّي بها جميعَ الإنس والجن فلا شكَّ أنه يحتوي على إعجازات متجددة تناسب هذا العصر -لا تنحصر بالإعجاز اللغوي فقط- حيث أخبر قبل ١٤ قرناً عن كشوفات كونية معاصرة مع ثبوت عدم إمكانية إدراكها سابقاً وهذا دليل على صدق نبوّة الرسول ﷺ وأن هذا القرآن من عنده سبحانه وتعالى.

والإعجاز لغة: من العجزِ أي الضعفِ والفوتِ والسبقِ عن الإدراكِ وضدُّ القدرةِ والحزمِ[١] وإعجازُ القرآن اصطلاحاً: إثباتُ القرآنِ عجزَ الإنسِ والجنِّ وقصورَهم عن الإتيانِ بمثلِ القرآن أو سورةٍ منهُ متفرّقينَ أو مجتمعينَ[٢]. والإعجاز العلمي للقرآن الكريم عُرّف اصطلاحاً من قِبلِ المشتغلين به: سبقُ القرآنِ الكريمِ بالإشارةِ إلى حقائقَ كونيةٍ لمْ يتمكّنِ العلمُ الحديثُ المكتسبُ من فهمِها إلا بعدَ قرونٍ متأخّرةٍ من نزولِ القرآنِ الكريمِ[٣]. وعُرِّفَ أيضاً: إخبارُ القرآنِ الكريمِ بحقائقَ أكّدها العلمُ التجريبيّ الحديثُ وثبوتُ استحالةِ إدراكِها بالوسائلِ البشريةِ في زمَنِ الرسولِ ﷺ وهذا يؤكّد صدقَهُ وصدقَ نبوّتِه ﷺ[٤].

١. ٣. المطلب الثالث: شروط التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم والفرق بينهما

١. ٣. ١. أولاً: شروط التفسير العلمي

ذكر الباحثون والمؤيدون لهذا الاتجاه من التفسير عدة شروط وضوابط متفرّقة في أبحاثهم[٥] استفدنا منها ولخصناها في هذه النقاط الوجيزة:

١- موافقة هذا التفسير لعدة عناصر: أ- المعنى اللغوي العام للآية. ب- وضع المفردة القرآنية في

(١) الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق مجموعة من المحققين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت. ١/ ٣٤٠-٣٤٤/ مادة (عجز). الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م. ٣/ ٨٨٣/ مادة (عجز).

(٢) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/ ٦٣٩. الصابوني، محمد علي، التبيان في علوم القرآن، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ٢٠١٦م. ص٩٣.

(٣) النجار، زغلول راغب محمد، دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م. ص١٤٥.

(٤) المصلح، عبد الله عبد العزيز، ومجموعة من الباحثين، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٢٨.

(٥) انظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، ط٢، ١٩٩٦م. ص١٧١-١٧٦. عباس، فضل حسن، التفسير والمفسرون أساسيته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفائس، عمان، ط١، ٢٠١٦م. ص٦٢٣-٦٢٤. الطيار، مساعد بن سليمان، الإعجاز العلمي إلى أين، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٣٣هـ. ص١٣١-١٤٣. عاطي، يوسف محمد، التفسير العلمي للقرآن الكريم حقيقته تاريخه مشروعيته ضوابطه وبعض ميادينه، رسالة ماجستير، بكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بيروت، ٢٠٠٧م ص٢٤٦-٢٧٧.

أثناء نزولها. ج-القواعد البلاغية ودلالتها. د-سياق الآيات. هـ-القواعد والحقائق العلمية المثبَتة المفسَّر بها. و-عموم الآيات المتناولة نفس الموضوع. ز-صحيح المأثور والمرفوع للتفسير النبوي.

٢- الحذر من الوقوع في الغيبيات وعقلنة المعجزات لأنها خوارق أساساً لا تجري على سنن الطبيعة. كالبحث في الذات الإلهية والملائكة وأحوال القيامة والميزان والصراط. والحذر من التفسير بالنظريات والفروض العلمية. والحذر من احتقار تفسير السابقين والسلف الصالح أو رميهم بالجهل. والحذر من النظريات المخالفة لصريح القرآن (كالداروينيّة[١] المخالفة لأصل خلق الإنسان من آدم عليه السلام).

٣- أن يتمكن من العلم باللغة العربية والناسخ والمنسوخ وباقي العلوم اللازمة للمفسر والعلم التجريبي أو الطبي أو النفسي المستعان به في أثناء هذا التفسير. واستكمال الشروط التي اشترطت على المفسر.

٤- الحرص على التوسط في هذا التفسير وترك الإفراط والتفريط؛ فلا يُحمَّل الآية التي لا يوجد فيها إشارة علمية ما لا تحتمل. ولو كانت الآية فيها إشارة واضحة إلى الحقيقة العلمية فلا يُقصر معنى الآية على ما ظهر من ذلك التفسير. وأن تكون القاعدة الكونية خاضعة للآية وليس العكس، وأن يكون هذا التفسير وسيلة مقنعة لإظهار أن القرآن الكريم كتاب هداية وألّا يكون هذا التفسير غاية بنفسه يؤثر على الهدف الرئيس من القرآن الكريم بل يكون وسيلة.

١. ٣. ٢. ثانياً: شروط الإعجاز العلمي

تكمن شروط الإعجاز العلمي في صحة التفسير العلمي أولاً، ثم صحة دلالة الآية أو الحديث على الكشف العلمي الجديد ثانياً، وثبوت استحالة معرفة البشر بهذا الكشف إبان وقت نزول القرآن ثالثاً[٢].

١. ٣. ٣. ثالثاً: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

إن التفسير العلمي أعمّ من الإعجاز العلمي ويوجد بينهما علاقة عموم وخصوص مطلق فكل إعجاز علمي يعدّ تفسيراً علمياً وليس العكس[٣]. فالإعجاز العلمي هو تفوّق القرآن على العلم المتطور بإثباته حقائق كونية قطعية ما اكتُشفت إلا في القرون الأخيرة بينما التفسير العلمي يوظف العلم الحديث في شرح الآيات القرآنية. فالتفسير العلمي قد يحتمل الخطأ؛ لأن المفسِّر مجتهد قد يقع في الخطأ أمّا الإعجاز العلمي فلا يحتمل الخطأ أبدا، وهذا فرق مهم بين

(١) الداروينية هي نظرية فكرية تنتسب إلى الباحث الجيولوجي شارلز داروين الانكليزي صاحب فكرة (النشوء والارتقاء من الطبيعة والتطور البيولوجي) والتي تدّعي أن جميع الكائنات الحية بما فيها الإنسان تنحدر من أصول واحدة وتطورت صدفة عن طريق طفرات غير مقصودة.

(٢) المصلح، عبد الله عبد العزيز، ومجموعة من الباحثين، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٣١، ٣٣.

(٣) حسن، محيي الدين عبد الله، التفسير العلمي للقرآن الكريم مؤشرات وملامح، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان، ص٧.

الاصطلاحين.

١. ٣. ٤. رابعاً: التعريف المختار لمصطلح التفسير العلمي الكوني والإعجاز العلمي وإشكالية التعريف:

بعد رحلة مفيدة في الدراسات الباحثة في قضية الإعجاز العلمي أحاول تعريف هذين المصطلحين بشكل يتناسب مع ما مضى من البحث: التفسير العلمي الكوني: هو التفسيرُ الذي يجتهدُ في شرحِ الآياتِ القرآنيةِ مستعيناً بالقطعيِّ من حقائقِ العلومِ الحديثةِ المختلفةِ للوصولِ إلى معانٍ جديدةٍ تلائمُ وضعَ الآيةِ لغوياً وبلاغياً ولا تناقضُ تفسيراتِ السلفِ.

وقبل أن نذكر التعريف المختار للإعجاز العلمي للقرآن الكريم بقيت لدينا إشكالية مهمة متعلقة بمعناه ألا وهي مسألة التحدي فإعجاز القرآن مقرون بالتحدي، لكن أين التحدي في الإعجاز العلمي إذا علمنا أن «التحدي بالشيء يقتضي معاينته ومباشرة محاولة الخصم إظهار النقص فيه أو الإتيان بالبديل، فهذا لا يُتصوّر حصوله فيما يسمّى الإعجاز العلمي؛ لأن ما يُدَّعى وجوده من علمٍ في القرآن مجهول بالنسبة للمخاطب فبمَ يتم التحدي؟»[(١)].

وفي ذلك إشكالية عميقة لاستعمال وذيوع مصطلح الإعجاز العلمي الذي انتشر إلى درجة لم يعد يمكن الاستعاضة عنه بمصطلح آخر مثل: «دلائل صدق القرآن» أو «إشارات القرآن إلى الحقائق العلمية» أو «برهان صدق الوحي» أو «سبق القرآن بالحديث عن حقائق الكون» ولا يمكن الفكاك عن تلك الإشكالية إلا لو اعتبرنا أن التحدي القرآني يكون ببلاغته وأسلوبه أوّلاً. فإذا أذعنّا بإيجازه وإعجازه البلاغي فإن سبقه وإشارته لهذه الحقائق العلمية أفحم وأقوى في التحدي وأدلّ في الصدق. أي لو آمنّا بوجود إعجاز للقرآن البلاغي فهذا يدفعنا للإيمان بضرورة الإعجاز في مضمون الآيات وهذا يشمل «كلّ مضمون أتى القرآن على شيء منه، سواء كان من أنباء الغيب أو دقائق التشريع، أو أسرار الكون، أو حتى ما لا يُعرف له تصنيف ولا تعريف من البشر بعد».[(٢)] فإذا لم يجتز المتحدي الشرط الأول منه هو الإعجاز بالبلاغة والفصاحة والنظم فكيف سينتقل إلى النوع الثاني والثالث من الإعجاز؟[(٣)] لذا فإنه يمكننا تعريف «الإعجاز العلمي» أو «دلائل صدق القرآن» من دون قيد التحدي بقولنا: تفوّقُ القرآن الكريم على العلم المتطوّر بإثباته حقائق كونية قطعية لم يكتشفها البشر إلا متأخراً وهذا التعريف وصلت إلى معناه بعد رحلة طويلة من البحث في الدراسات الباحثة في قضية الإعجاز العلمي.

(١) حللي، عبد الرحمن، الإعجاز العلمي.. الجذور وخلفيات النقد، مقالة نشرت على موقع إسلام أون لاين. تاريخ الوصول: ٢٠٢١/١٠/١. على الرابط الآتي: https://tinyurl.com/3eh26bsu

(٢) كزابر، عز الدين، الفصل (أ١١) - محمود محمد شاكر - كتاب: براءة التفسير والإعجاز العلمي في القرآن من الشكوك عليه، مقالة نشرت على موقع القرآن والعلم، تاريخ الوصول: ٢٠٢١/١٠/١. على الرابط الآتي: http://kazaaber.blogspot.com/2013/11/11.html

(٣) المصدر السابق نفسه.

٢. المبحث الثاني: ظاهرة التسرّع في نسبة الإعجازات العلمية إلى النصوص الشرعية (فايروس كورونا نموذجاً)

حينما نعمل على الدفاع عن ديننا ضدّ كل زيف أو خرافة تُنسب إليه كي نُظهر وجهَه البرّاق الحقيقي وننزّهه عن كل سفاهة أو تفاهة فهذا لا يعني عدم حبنا للإسلام ولا يعني كفرنا بالغيبيات أو إنكارنا للمعجزات أو الحطّ من قيمة الدين. بل هدفنا هو تنقيته من الخرافات والأخطاء التي تكتسي ثوب العلم.

إن الإسلام قويٌّ بذاته، بكتابه وسنّته، ولا يطلب منا أن نستشهد بتفسير أو إعجاز علمي مُصطنع فنختلق فوائد صحية أو طبية لشعائر ديننا الحنيف. إن الظاهرة التي نحن بصدد عرضها الآن هي قضية متطورة عن قضية التفسير والإعجاز العلمي وهي ملتصقة به أشد الالتصاق ألا وهي قضية الاستعجال والتخبّط في ربط النصوص الشرعية بالأحداث الكونية، والخلط بين الخرافة والمعجزة.

ففي كل خمس سنوات أو عقد من الزمن تطل علينا مجموعة من التأويلات المتعسّفة والتفسيرات الباردة فتربط الآيات بالأحداث المعاصرة ربطاً يفقد النصوص الشرعية معناها ويقلل من جلالتها. ومن تلك الادعاءات المندثرة:

-إعجازات خرافية للرقم **١٩** للمهرطق رشاد خليفة.

- وجود معجزة مزعومة في كلمة (جرف هار) من قوله عز وجل: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (سورة التوبة) وأنها إشارة لانهيار برجي التجارة العالمي في سورة التوبة، واغترار الناس بذلك. وهذا كذب محض.

- ادعاء عدم مقدرة الطائرات على التحليق فوق الكعبة لأنها مركز الأرض. وهذا بسبب منع المملكة لذلك راحةً للمصلين وليس لخلل في الجاذبية أو طبقات الهواء كما زعم أصحاب هذا الادعاء.

- إشارات القرآن لنظرية التطور الداروينية في آية ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة نوح) ولأشعة إكس في آيات سورة الهمزة: ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ ﴾ (سورة الهمزة) وللتطهير من الجراثيم والأوبئة في آية ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة المدثر) وكل ما سبق من أمثلة هي محض تأويلات متعسّفة لا يوافقها الوضع اللغوي للكلمة العربية عند نزول الوحي ولا سياق الآيات ولا قطعية النظرية المفسَّر بها.

ولو بحثنا في الشبكة العنكبوتية عن عبارتي «التفسير العلمي للقرآن» أو «الإعجاز العلمي للقرآن» مع علامتي الاقتباس لظهر لنا ما يزيد على ثلاثين ألف نتيجة للعبارة الأولى، وثمانية وأربعين ألف نتيجة للعبارة الثانية. ولو بحثنا من دون وضع علامات الاقتباس لظهر لنا أضعاف ما سبق من نتائج.

وبعد أن سكن سوق الإعجاز العلمي لدى التجّار به وقلّ مُشتروه. استعدّوا لموجة تجارية جديدة وشحذوا هممهم لمواكبة الفرصة الحالية، فالعجز العلمي اليوم أمام كورونا عالميٌّ كما يقول الدكتور عبد الرحمن حللي[1]. وهكذا وجدت التلفيقات والشائعات لها طريقا للانتشار والذيوع. وسنرصد الآن أشهرها في مواقع الأخبار ومنصّات التواصل الاجتماعي ومنصّات الباحثين عن الإعجاز العلمي.

٢. ١. المطلب الأول: الخرافات باسم الدين

في هذه الخرافات قد لا نجد اصطلاحي تفسير أو إعجاز علمي ولكننا نلاحظ فيها وجود ادعاءات كاذبة تشير إلى معنى تفوّق الدين على العلم وأن الدين لديه حل سريع لكورونا! من تلك الخرافات:

الخرافة ١: كورونا أشارت إليها آيات سورة المدثر

شاع تأويلٌ صبياني ملفَّق في مواقع التواصل الاجتماعي أن سورة المدثر أشارت إلى كورونا قبل ١٤ قرنا، فالآية ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ حسب هذه التأويل الفاسد إشارة لسنة ٢٠١٩، أو لاسم الفايروس كوفيد ١٩. وكررته صحف ومواقع عدة[2]

إن هذا التأويل الوليد والمُلَفَّق لآيات نزلت في مكة قبل ١٤ قرنا فيه تجرأٌ وتجاوز لجميع الضوابط العلمية الخاصة بالتفسير والإعجاز العلمي، ومخالفةٌ لجميع ما ذُكر في المبحث الأول. إذ إن هذه الآية نزلت على الوليد في المغيرة كما اشتهر في كتب التفسير وأسباب النزول؛ لذا فإن هذا التأويل باطل من حيث الاستدلال والإسقاط على الواقع. خصوصا أن الآية التي بعدها (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) تفيد بكل وضوح أن سياق الآيات عن النار وخزنة جهنم.

الخرافة ٢: لو وجدت شعرة في سورة البقرة في مصحف بيتك وشربت من مائها فستشفيك من كورونا أنت وأحبابك!

بالتزامن مع انتشار الخرافة السابقة ظهرت قصّة درامية مبتذلة في مواقع التواصل الاجتماعي أن إحداهنّ ادّعت رؤية الرسول ﷺ في منامها وكان يخبرها (في المنام) أن من رأى شعرته في سورة البقرة فسيجد فيها شفاء من فايروس كورونا بإذن الله!

الغريب في أن هذه الخرافة انتشرت في تركيا ومصر وبلاد المغرب وبلاد الشام وربما انتشرت في جميع العالم أيضاً وتُرجمت إلى لغات ثانية! فهل الإعجاز في القرآن أم في الشعرة أم في قدرتها الشفائية؟ أم هناك عجز عقول مصدّقيها؟ وكيف يصدق ناس رؤية مكذوبة على رسول الله ﷺ ؟ وهل نصدق كل شخص ادعى

---

(١) حللي، عبد الرحمن، كل هذه التّرهات عن الإعجاز العلمي وكورونا، مقالة نشرت بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٤/٢٢/ على موقع العربي الجديد. تاريخ الوصول ٢٠٢١/٠٩/٣٠. على الرابط الآتي:
https://tinyurl.com/kap4fxdp

(٢) هلالي، محفوظ، حقيقة ذكر مرض كورونا بسورة المدثر في القرآن الكريم، مقالة على صحيفة الوكالة نشرت بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٣/٢٤. تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٠٩/٣٠.
على الرابط الآتي:
https://www.elwekalanews.net/411656

أنه رأى النبي ﷺ ؟ وهل أمر النبي أصحابه بشرب ماء شعره في حياته؟ فكيف يُرغّب في شربها حال وفاته ولم يأمر بذلك حال حياته؟ ولماذا فقط الشعرة في سورة البقرة دون غيرها.. بالتأكيد هذه الخرافة تقصد العبث والاستخفاف بعقول الناس لإبعادها عن دينها.

الخرافة٣: الأعجوبة الوهمية ابن سالوقيه يتنبأ بظهور كوفيد ١٩ في شهر مارس، ودوّن كذلك في كتابه أخبار الزمان ص٣٦٥ الذي لم يطبع إلى الآن!

أقدمت بعض الصفحات الإلكترونية الاجتماعية على ترويج خرافة مستغلة جهل الناس بتاريخها وأسماء علمائها وكتبهم، إذ لا توجد شخصية بهذا الاسم ولا يوجد كتاب مخطوط ولا مطبوع احتوى على هذه العبارات التي ذكرت في الخرافة» (حتى اذا تساوى الرقمان (٢٠=٢٠)وتفشى مرض الزمان-منع الحجيج-واختفى الضجيج-واجتاح الجراد-وتعب العباد-ومات ملك الروم-من مرضه الزؤوم-وخاف الأخ من أخيه-وصرتم كما اليهود في التيه-وكسدت الأسواق-وارتفعت الاثمان-فارتقبوا شهر مارس-زلزال يهد الأساس-يموت ثلث الناس-ويشيب الطفل منه الراس)!

لا أظن أن مستوى لغة كاتب في القرن الرابع الهجري قد تدنى لهذا المستوى العجيب فصار يكتب بهذه اللهجة الرديئة ويستعمل التاريخ الميلادي أيضا! بل لا يوجد شخص يستطيع التنبؤ قبل ١٠ قرون بفايروس كورونا أصلاً. وكتاب أخبار الزمان ينسب في الحقيقة لعلي المسعودي ولا ينسب لسالوقيه. وليس فيه تلك العبارات المذكورة في الخرافة. بل إن التأريخ بالشهور الشمسية كمارس وشباط وغير ذلك لم يكن معروفا عند المؤرخين القدماء.

٢. ٢. المطلب الثاني: الغلو في استعمال مصطلح الإعجاز العلمي:

عرضنا أمثلة لأهم ٣ خرافات شاعت واندثرت سنة ٢٠٢٠ ولكن هناك بعض الباحثين ما زالوا مصرّين على وجود صفة إعجازية ما للإسلام حول فايروس كورونا. فهم في وهمها عالقون. يسيئون إلى مصطلح الإعجاز بدل أن يحسنوا إليه، ويتبارون في إظهار الأبحاث المثبتة أن الطهارة والصلاة والصوم والوضوء هي الحل الوحيد لكورونا. من تلك النماذج المغالية:

نموذج ١. «النقاب والوضوء يزيل عنك كورونا»!

ظهر الدكتور (أسامة حجازي) المتكلم على قناة الرحمة وأكد أن القيم الإسلامية كالحجاب والوضوء تزيل كورونا. وانتشر الفيديو مع انتشار الفايروس الأوليّ. وقد حاول الدكتور أن يوفّق بين العلم والتديّن في محاولة كثيراً ما يبالغ فيها ويتكلف[1].

نموذج ٢. «وجوب حلق اللحية لتثبيت القناع الطبي خرافةٌ، وإطالةُ اللحية تطيل المناعة ضد كورونا»!

(١) انظر: حجازي، بسام، النقاب والوضوء يزيل عنك كورونا (مقطع مرئي). تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٠٩/٣٠ على الرابط:
https://drive.google.com/file/d/1asZRlSIoWSU6hMuD-ju1Uqksi-LxoEgW9/view

ينقل كاتب المقالة عن الباحث أسامة سعد آل شاكر عن الطبيبة المتخصصة بتجميل الشعر أولغا كوخاس نفيها خرافة وجوب حلق اللحية ليكون القناع الطبي أكثر فعالية. وأن الصواب في إطالة اللحية وغسلها كي تحمي الجلد من اختراق الفايروس التاجي للجلد كما تقول الطبيبة ولهذا قال النبي ﷺ : «قصّوا الشوارب وأعفوا اللحى خالفوا المشركين»(١). اه. ولا أدري ما علاقة هذا الحديث بالإعجاز العلمي؟ وهل استدلّ الباحث أم المحاور بالحديث النبوي الشريف أم المختصّة بتجميل الشعر؟ على كلّ حال لا يوجد سبب مقنع لإدخال مصطلح الإعجاز في إطالة شعر اللحية.

نموذج٣. إعجاز المضمضة في آخر الخبر يقضي على إعجاز الصيام في أوله. وتصريح لجنة علمية أن بالصيام يجفّف الحلق ويساعد على إيقاف كورونا.. وفي الوقت نفسه توصي اللجنة بالمضمضة!!

انتشرت مقالة على أحد المواقع المهتمة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة عنوانها: «الصيام يقلل الإصابة بفيروس كورونا مع الفيديو»(٢).

واستشهدت المقالة بأدلة طبية وتجارب علمية عن قدرة الصيام على تحفيز مقاومة الجسم وزيادة المقاومة فيه مع ذكر ستة مصادر لعلماء وباحثين في علم التغذية على فوائد الصيام. وأكد أحدهم (البروفسور يوهان غيساكى/prof. Johan Giesecke) وهو مختص في علم الأوبئة أن جفاف الحلق يساعد أبداً على الحماية من كورونا ويجزم أن الصيام يقلل من خطر فايروس كورونا..

إلى هنا لا يوجد أي شيء مثير للريبة يمكن التعليق عليه.. لكن الحبكة الإعجازية لم تكتمل هنا، إذ جاء في المقالة بالحرف الواحد: «البروفسور ينصح الصائمين بمضمضة الفم عدة مرات كل يوم.. بكلمة أخرى ينصحون بالوضوء!»

مع الأسف لقد نقضنا الإعجاز هنا بإعجاز آخر يخالفه وينقضه. كيف ينهانا الرسول ﷺ عن المبالغة في الاستنشاق في أثناء الصيام ثم يأتي دعاة الإعجاز فيحتجون أن المضمضة فيها معجزة علمية تحمي من فايروس كورونا والنبي ﷺ ينهى عن المبالغة في الاستنشاق والمضمضة في الصيام إذ قال : «أَسْبِغِ الْوُضُوءَ وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابِعِ وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ إِلا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»(٣) هذا من جهة الدين، أمّا من

(١) الحاج، أحمد، حوار في زمن الكورونا مع- أسامة سعد آل شاكر- الباحث في علوم الإعجاز في القرآن والسنة النبوية، (مقالة على موقع صوت العراق) بتاريخ ١٥/٠٤/٢٠٢٠ على الرابط:
https://tinyurl.com/y6c3smbx

(٢) الكحيل، عبد الدائم، الصيام يقلل الإصابة بفيروس كورونا مع الفيديو، مقالة نشرت على الرابط:
https://kaheel7.net/?p=22468
تاريخ الوصول: ٣٠/٠٩/٢٠٢١.

(٣) رواه الترمذي وأبو داود عن لقيط بن صبرة، انظر: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م. ٢/١٤٧/رقم الحديث: ٧٨٨. أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود (السنن)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل

جهة العلم والتجربة فإن المضمضمة تسبب رطوبة الفم في أثناء الصيام وقد تؤدي إلى رطوبة الحلق لو بالغ الإنسان ! واللجنة العلمية توصينا بالصيام ليكون حلقنا جافاً في أول الخبر! فكيف نجمع بين الإعجازين: الجفاف والرطوبة؟!

٢. ٣. عدم الدقة في المصطلحات

٢. ٣. ١. إطلاق مصطلح الإعجاز العلمي أو الديني وإرادة معنى الإعجاز التشريعي

نموذج**١**. «باحث من أمريكا يتحدث عن الإعجاز العلمي في علاج كورونا»[١]. ومضمونه: بروفيسور أمريكي في علم الاجتماع يستشهد بالتشريعات الإسلامية في مواجهة الجوائح ونظافة الإسلام.

لا شك أن هناك فرقاً بين الإعجاز العلمي والإعجاز التشريعي فقد ذكرنا في بداية البحث تعريف الإعجاز العلمي. أما الإعجاز التشريعي فقد عُرّف بأنه: إثباتُ عَجْز بني آدم جميعاً عن تشريع أحكامٍ تماثل أحكام القرآن الكريم أو السنة النبوية متعلقةٍ بالفرد والأُسْرة والمجتمع وجميع المجالات؛ لذا فإن الاستشهاد بالتشريعات الإسلامية على النظافة والطهارة يُصنّف ضمن الإعجاز التشريعي وليس ضمن الإعجاز العلمي كما أوهم عنوان الخبر.

نموذج**٢**. «الإعجاز الديني فيما يخص فايروس كورونا»[٢]. ومضمونه: الإعجاز التشريعي للإسلام في تحريم الخبائث وتشريع الطهارة.

تناول كاتب المقالة مسألة التجديد في التفسير ومسألة حكم أكل الخفاش ضمن المذاهب الأربعة والسبب في تحريمه كونه من الخبائث التي لا تستسيغها العرب وتناول أهمية سنة النبي ﷺ في تغطية الوجه في أثناء العطاس وأشاد بريادة الإسلام في وضع أول نظام للحجر الصحي ونسب ذلك كله للإعجاز الديني في عنوان المقالة وكان عليه الدقة واستعمال مصطلح الإعجاز التشريعي مكان الإعجاز الديني.

٢. ٣. ٢. إدخال المعنى اللغوي بالمعنى الشرعي

نموذج: هل الفايروس من جنود الله؟ (إشكالية المصطلحات وتضارب الاتجاهات)

كم عجيب أمر هذا الفايروس إذ إنه أثارَ معضلة لغوية إلى جانب معضلته الطبية والسبب باختصار شديد أن كلمة جنود الله تطلق باصطلاح معظم الناس على كلّ من نفذّ أوامر الله عزّ وجلّ وأمضى

قره بللي، دار الرسالة العلمية، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م. ١/ ١٠٠/رقم الحديث: ١٤٢.

(١) الكحيل، عبد الدائم، باحث أمريكي يتحدث عن الإعجاز العلمي في علاج كورونا، مقالة نشرت على الرابط:
http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2012-12-04-18-32-28/2095-2020-04-05-02-41-56
تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٠٩/٣٠. ناقلا عن الخبر الأصلي باللغة بالإنكليزية:
https://www.newsweek.com/prophet-prayer-muhammad-covid-19-coronavirus-1492798

(٢) انظر: فتحي، محمد، الإعجاز الديني فيما يخص فايروس كورونا، مقالة نشرت على موقع الديار بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٤/٠٩، تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٠٩/٣٠. على الرابط:
https://tinyurl.com/579px8xu

مشيئته، فهذا الفايروس جاء ليذكّر الناس بخالقهم ولا يصيب أحداً إلا بمشيئة الله عزّ وجلّ. أيجوز لنا أن نقول عنه هو «جند لغير الله»، أو أنه يتصرف من تلقاء نفسه؟! لا. هذه حجة الفريق الأول من الباحثين المستدلين بعموم قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المدثر:٣١) وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الفتح:٤).[١] فجنود الله على نوعين: جنود رحمة وجنود عذاب[٢]. والعلل السببية ونواميس الكون يقال عليها إنها من جند الله.

على النقيض تماما رأى فريقٌ آخر من الباحثين والعلماء أن إطلاق لفظ جنود الله على الأوبئة بما فيها كورونا فيه خطورة وتمييع للمصطلحات الدينية؛ لأن المرض يمكن أن نتغلب عليه بالدواء يوما ما، والله عز وجل يقول: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (الصافات:١٧٣) فكيف سنتغلب على هذا الفايروس لو كان من جنود الله الغالبة التي لا تُهزم؟ وهل نحن عباد الله من أعدائه كي يرسل إلينا جنوده؟ ولماذا يبدو خطيب الجمعة حينما يطلق هذا اللفظ في أثناء وعظه متعاطفاً مع الفايروس؟[٣] فجنود الله في اصطلاح القرآن على خمسة أنواع كما قال الإمام ابن الجوزي:

١. الملائكة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المدثر:٣١)

٢. الرسل والمؤمنون في قوله: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (الصافات:١٧٣)

٣. الذرية في قوله تعالى: ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (الشعراء:٩٥)

٤. الجموع المحاربة في قوله تعالى: ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ (النمل:٣٧) و ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ ﴾ (البروج:١٧)

٥. الناصر في قوله تعالى: ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (مريم:٧٥)[٤]

ولذا فإن إطلاق لفظ الجند على هذا الفايروس لا يدخل في أبواب تسميات القرآن للجند بل يمكن أن نقول هو من باب التشبيه أو المجاز لا الحقيقة. وحريّ بتلك المسألة كتابة بحث لغوي منفصل ودراسة مختلفة كي لا يطول البحث. والأولى عدم التسرع في إطلاق لفظ جند الله على هذا الفايروس. والأفضل أن يقال هو ابتلاء من الله لعباده؛ لأن الطاعون الذي توفّي به

(١) سالم، زهير، ونفر من قدر الله إلى قدر الله، مقالة نشرت على موقع مركز الشرق العربي، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٣/٢٤. تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٠٩/٣٠. على الرابط:
https://tinyurl.com/cmh4mvw

(٢) وزارة الأوقاف بدولة فلسطين بغزة، هل فايروس كورونا جندي من جند الله؟ مقالة نشرت بتاريخ ٢٠٢٠/٠٩/١٠. تاريخ الوصول، ٢٠٢١/٠٩/٣٠. على الرابط:
https://tinyurl.com/rea7ehkk

(٣) الكبيسي، محمد عياش، -كورونا- جندي من جنود الله أم عدو تجب محاربته، مقالة نشرت على موقع إسلام ويب، تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٠٩/٣٠. المتاحة عبر الرابط:
https://tinyurl.com/eb2sprae

(٤) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م. ص٢٣٣-٢٣٤.

جمع كبير من الصحابة كان بأمر من الله سبحانه وتعالى أيضا، فهل يُقبل لو قيل: مات الصحابة بجند الله؟!

الخاتمة ونتائج البحث

على امتداد القرن العشرين إلى يومنا هذا شغلت قضيتا الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن الكريم أذهان جمهور عريض من الباحثين المسلمين وغير المسلمين وكانت سبباً في دخول غير المسلمين في الإسلام. واحتفلت المواقع الإلكترونية في العقد الأخير بتحليلات تناولت معاني الإعجاز العلمي لتؤكد لنا معنى تفوّق القرآن الكريم والسنة النبوية على العلم الحديث. وأُتخمت مقالات الباحثين في الشريعة الإسلامية بمصطلح الإعجاز العلمي وصار همّهم ملاحقة الاكتشافات الحديثة -ولو كانت ضعيفة أو محل بحث- ليعلنوا للجماهير - من دون تحقيق ومن دون تأكد- أن الإسلام والقرآن قد سبقا العلم في مسألة ما بأربعة عشر قرنا. وبدأ باستعمال مصطلح الإعجاز المشعوذون والدجالون وصار شغل من لا شغل له وحسبنا الله ونعم الوكيل. وبعد أن صدّقت الناس بعض إشاعاتهم تصدّى لهم فريق من الدعاة والعلماء وطلاب العلم ليكشفوا زيفها ويوضّحوا حقيقتها.

إن من يتتبع علم التفسير عبر تاريخه سيدرك بلا أدنى شبهة مروره بمراحل مفصلية وضرورية أدّت إلى تطوره والدفع به نحو التجديد. ولهذا نرى مرحلة التفسير بالعلوم الكونية في هذا القرن تمثلت في اتجاهين: الأول: اتجاه كثر فيه الخطأ والعثرات والضعف. والآخر: كان محاولة صحيّة منضبطة نوعاً ما تسعى إلى الربط بين الدين والعلم في عالم متوحّش يقدّس المادة ويلغي الأخلاق والدين من حياة الناس. فكأنما علم التفسير زجاجة برّاقة كاشفة عمّا يجول في الميدان الفكري الإسلامي من مذاهب أو فلسفات أو نظريات. وما كانت تلك إلا محاولة لفهم آيات القرآن الكريم وإسقاط معانيها على واقعنا المتعلق بالمادة بشكل أو بآخر.

ونحن في هذه الدراسة حاولنا رصدَ هذه الظاهرة وتحليل ما أورده الباحثون وتفنيد ما وقعوا فيه من خطأ. ومما توصلنا إليه:

أولا: إن آياتِ القرآنِ الكريمِ ونصوصَ الأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ لا تتناولُ جميعَ حالاتِنا الجزئيةِ المتبدّلة، فلا يُطلب من الفرقانِ المعجِز أن يتحوّلَ إلى كتابٍ طبّي فيزيائي، ولا يجوزُ لنا أن نربِطَ كلَّ فتنةٍ أو واقعةٍ محدودةٍ بنصٍّ مفتوحِ الآفاق فنُسقطَها إسقاطاً ينافي أصولَ التفسيرِ وقواعدَه. فالمسلمُ الفطِنُ كما هو مَدعوٌّ إلى التفكّرِ في آيات الله القرآنية والكونية والربطِ بينِها، مدعوٌّ أيضاً إلى التثبُّتِ والتروّي في إسقاطِ النصوص على الواقعِ المعاصر والتأكّدِ من الحقائقِ العلميةِ قبلَ أن يُفسِّر بها الآيات.

ثانيا: إن التحدِّي القرآني يكونُ ببلاغتِه وأسلوبِه أولاً. فإذَا أذعنّا بإيجازِ القرآن وإعجازِه البلاغي فإنَّ سَبْقَه وإشارَته لعدّةِ حقائقَ علميةٍ وكونيةٍ أفحمُ وأقوى في التحدّي، وأدلُّ في الصدق وأبلغ! فمن

يؤمنُ بدقّة نظمِ القرآن الكريم يدفَعُه إيمانُه تلقائياً لقَبولِ كلِ مضمونٍ أتتْ به الآيةُ سواءً أكان من أنباء الغيب أو دقائق التشريع، أو أسرار الكون، أو حتى ما لا يُعرف له تصنيفٌ ولا تعريفٌ من البشر بعد.

ثالثا: التخبطُّ في ربطِ النصِ القرآني بفايروس كورونا يَحُطُّ من قيمةِ مُصطلحِ الإعجازِ العلميِّ للقرآنِ الكريمِ؛ مما يعودُ بالسلبِ على الإسلامِ والمسلمينَ ويُورث الشكَّ في حقائقِ الدينِ وآياتِه. ومن ذلك الإصرارُ على ربطِ هذا المصطلحِ بكلِّ شيء ابتداءً من الشعائرِ الدينيةِ وانتهاءً بالأطعمةِ التي ذُكرت في القرآن الكريم ففقدت كلمةُ الإعجازِ معناها.

رابعا: لا يوجد أيُّ إعجازٍ علمي لآيات القرآنِ الكريمِ أو إشارةٌ ما حول فايروس كورونا إلى تاريخنا هذا. سوى إعجازٍ وحيد في المجال التشريعي وهو يَشملُ كلَّ وباء ولا يخصُّ كورونا فقط. وهو حديثٌ صحيحٌ عن النبي ﷺ: (لا يُورَدُ مُمرِضٌ على مُصِحٍّ)، وحديث: (إذَا سَمِعْتُمْ به بأَرْضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذَا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بهَا فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا منه). فهناك فرق بين الإعجاز العلمي والإعجاز التشريعي. أما الادعاءاتِ التي قيلَ أنّ فيها إعجازاً علميّاً، وفنَّدْنَاها داخلَ البحث، فمنها: أنَّ الصيامَ والوضوءَ والمضمضةَ والنقابَ وإعفاءَ اللحيةِ يقي من كورونا. ومنها تفسيرُ بعضِهم آية سورة المدثر ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ بأنها فيروس كوفيد ١٩!!!

خامسا: إن مصطلحاتِ التفسيرِ العلمي والإعجازِ العلمي والتشريعي قد أصبحَتْ واقعاً نجدُه في الأبحاثِ والندواتِ والمؤتمراتِ والدراساتِ الشرعيِّة، وهي مصطلحاتٌ تتمايزُ بعضَها عن بعض. وعلى الباحثين توخّي الدقّةَ في استعمالِها. والأَولى استعمالُ: «دلائلُ صدقِ القرآن» أو «إشاراتُ القرآنِ إلى الحقائقِ العلمية» أو «برهانُ صدقِ الوحي» أو «سَبقُ القرآنِ بالحديثِ عن حقائقِ الكون».

سادسا: عدمُ التسرّعِ في إطلاقِ كلمةِ «جندِ الله» على فايروس كورونا واللهُ أعلم.

سابعا: إن ظاهرةَ الغلوِّ في استعمالِ مصطلحِ الإعجازِ العلميّ التي رصدنا أمثلَتَها في داخلِ البحث هي تلميعٌ زائفٌ للواقعِ الحضاريِ المتردّي.. وقد تورثُ شعورَ الانتصارِ اللَّحظيِّ على الساحةِ الفكريّةِ في أثناءِ الهزائمِ المَيدانيةِ المتتابِعَة.

ثامنا: إن اختلاف دقة مصطلح التفسير العلمي وتشوّش معناه والاضطراب في حكمه وتعدد تعريفاته -رغم كونه من أنواع التفسير بالرأي- يرجع لعدة أسباب أهمها: ١-حصر العلم بمفهوم العلوم الكونية. ٢-اختلاف رؤية كل باحث في علاقة العلم بالتفسير خصوصاً والدين عموما، فمنهم من يراهما متوافقين ومنهم من يراهما متمايزين أو متباينين.

ثبت المصادر والمراجع والروابط الإلكترونية

١. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط١، ١٩٨٤م.

٢. ابن فارس الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.م، ط٢، ١٩٧٩م.

٣. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

٤. أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود (السنن)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العلمية، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م. ١/١٠٠/رقم الحديث: ١٤٢.

٥. البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٦. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م. ٢/١٤٧/رقم الحديث: ٧٨٨.

٧. التهانوي، محمد بن علي الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، تحقيق وترجمة مجموعة من الباحثين، ط١، ١٩٩٦م.

٨. الجرجاني، أبي الحسن علي بن محمد بن الحسيني الشريف الحنفي، التعريفات، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

٩. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م.

١٠. الحاج، أحمد، حوار في زمن الكورونا مع -أسامة سعد آل شاكر- الباحث في علوم الإعجاز في القرآن والسنة النبوية، (مقالة على موقع صوت العراق) بتاريخ ١٥/٠٤/٢٠٢٠ على الرابط:

https//:tinyurl.com/y6c3smbx

١١. حجازي، بسام، النقاب والوضوء يزيل عنك كورونا (مقطع مرئي). تاريخ الوصول: ٣٠/٠٩/٢٠٢١ على الرابط:

https://drive.google.com/file/d/1asZRlSIo-WSU6hMuDju1Uqksi-LxoEgW9/view

١٢. حسن، محيي الدين عبد الله، التفسير العلمي للقرآن الكريم مؤشرات وملامح، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان.

١٣. حللي، عبد الرحمن، كل هذه الترّهات عن الإعجاز العلمي وكورونا، مقالة نشرت بتاريخ: ٢٢/٠٤/٢٠٢٠/ على موقع العربي الجديد. تاريخ الوصول ٣٠/٠٩/٢٠٢١. على الرابط:

https://tinyurl.com/kap4fxdp

١٤. حللي، عبد الرحمن، الإعجاز العلمي.. الجذور وخلفيات النقد، مقالة نشرت على موقع إسلام أون لاين. تاريخ الوصول: ١/١٠/٢٠٢١. على الرابط الآتي:

https://tinyurl.com/3eh26bsu

١٥. خان، وحيد الدين، الدين في مواجهة العلم، ترجمة: ظفر الإسلام خان، دار النفائس، ط٤، ١٩٨٧م.
١٦. الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، د.م، ط١، ١٩٦١م.
١٧. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٢م.
١٨. الرومي، عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط٢٥، ٢٠٢٠م.
١٩. زرزور، عدنان، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، دار القلم/دار الشامية، دمشق/بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.
٢٠. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد عيسى المعصراوي، دار السلام، ط٥، ٢٠٢١م.
٢١. سالم، زهير، ونفرّ من قدر الله إلى قدر الله، مقالة نشرت على موقع مركز الشرق العربي، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٣/٢٤. تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٠٩/٣٠. على الرابط:
https://tinyurl.com/cmh4mvw
٢٢. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق ونشر: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٣. الشدي، عادل بن علي، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ٢٠١٠م.
٢٤. الصابوني، محمد علي، التبيان في علوم القرآن، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ٢٠١٦م.
٢٥. الطيار، مساعد بن سليمان، الإعجاز العلمي إلى أين، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٣٣هـ.
٢٦. عاطي، يوسف محمد، التفسير العلمي للقرآن الكريم حقيقته تاريخه مشروعيته ضوابطه وبعض ميادينه، رسالة ماجستير، بكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بيروت، ٢٠٠٧م
٢٧. عباس، فضل حسن، التفسير والمفسرون أساسيته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفائس، عمان، ط١، ٢٠١٦م.
٢٨. فتحي، محمد، الإعجاز الديني فيما يخص فايروس كورونا، مقالة نشرت على موقع الديار بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٤/٠٩، تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٠٩/٣٠. على الرابط:
https://tinyurl.com/579px8xu
٢٩. الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.
٣٠. الكبيسي، محمد عياش، -كورونا- جندي من جنود الله أم عدو تجب محاربته، مقالة نشرت على موقع إسلام ويب، تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٠٩/٣٠. على الرابط:
https://tinyurl.com/eb2sprae
٣١. الكحيل، عبد الدائم، الصيام يقلل الإصابة